

في مرآة الذات والفضة: تعدّد الزوجات كما تراه المرأة

أبو بكر أحمد باقادر^(*)

تعدّد الزوجات من الموضوعات التي يجد كثير من المثقفين حرجاً في الحديث عنها ويرون أنها تشكّل بقايا سلبية من الماضي، يُرى أنه من الأفضل التخلص منها إن أمكن أو في جعلها من المسكوت عنه. وفي أحسن الأحوال تكون المواقف بصددها متطرفة: إما دفاع مستميت وتقديم اعتذاريات مثالية لعلّة التعدد، بل إن البعض يجعل الدفاع عن التعدد دفاعاً عن الإسلام، كأنما التعدد ليس موجوداً سوى في الإسلام بالرغم من أنه ظاهرة عالمية معروفة تاريخياً ومعاصرة؛ وإما رفض مطلق باسم كرامة المرأة وحققها في المساواة ومن ثمّ إدانة التعدّد والعمل على استصدار كل أنواع التشريعات والقوانين التي تضمن لاشريعته.

في هذه الدراسة سيوضح لنا أن التعدد ظاهرة مركبة ومتعددة الجوانب لا يمكن ردها إلى سبب أو علة اجتماعية أو ثقافية أو قانونية واحدة وإنما ينبغي النظر إلى السياقات الثقافية، وهي سياقات تحددها الحالة والمرحلة التاريخية ومجموعة الظروف الاجتماعية والثقافية التي تمر بها الأسرة المعنيّة والمجتمع الذي تقع فيه؛ إضافة إلى أنها ظاهرة اجتماعية، استقرت عبر التاريخ وانتشرت في الثقافات التي يغلب عدم وجود قواسم تبادل مشتركة بينها مما يجعل من تفسير ظاهرة التعدد مسألة لا يمكن الركون فيها إلى تغليب الجانب الأخلاقي أو التشريعي فقط، إذ كيف يمكن تعليل وجودها في ظل أنساق مختلفة الأسس الأخلاقية أو التشريعية؛ ولن نبالغ ونقول إنها تعكس «فطرة» بشرية لوجودها في أكثر من ثقافة، إذ نعلم، في الوقت نفسه، أنها مرفوضة وغير منتشرة في ثقافات أخرى⁽¹⁾.

(*) أستاذ علم الاجتماع في جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية.

(1) أوضح علماء الأنثروبولوجيا أن ظاهرة تعدّد الزوجات تعدّ ظاهرة ثقافية واسعة الانتشار على وجه الخصوص في إفريقيا السوداء، لكن لم تخلّ بعض المجتمعات الآسيوية والأوروبية منه. وتعدّ طائفة المورمن المسيحية الأميركية من أبرز المجتمعات البيضاء التي حلّت تعدد الزوجات.

كل هذا يعني أنه لا مناص من التأكيد على ضرورة تقديم ما أسماه غيرتس بالوصف الكثيف⁽²⁾ لفهم هذه الظاهرة؛ وهو الأمر الذي سنقوم به هنا عبر عرض مجموعة من الحالات «الشهادات» التي من شأنها تقديم هذه الظاهرة في سياقاتها الشخصية الخاصة ثقافياً واجتماعياً. لكننا قبل ذلك نود أن نؤكد على أمرين: أولهما، أننا نقارب موضوع دراستنا من بديهية عقدية نؤمن بها، وهي أننا نؤمن بأن الإسلام يعطي الشرعية لتعدد الزوجات بضوابط وقواعد معروفة؛ ونحن في هذا البحث لا نناقش هذه الشرعية وإنما ننطلق من قبولها، لكن قبول شرعية التعدد لا يعني بالنسبة لنا السكوت على الإساءة للمرأة أو المجتمع من قبل بعض الأفراد، نتيجة سوء استخدامهم لهذه المؤسسة الإسلامية. كما نؤمن بأن التعدد قد يكون ضرورياً وأخلاقياً بل ومطلوباً في حالات معينة، لكن لا يعني ذلك أيضاً أن كل حالات التعدد تندرج تحت هذا التخصيص. ثانيهما، أن التعدد من حيث تطوره وممارسته قد يختلف بين مرحلة تاريخية وأخرى، وبين فئات اجتماعية وأخرى داخل السياق الحضاري الواحد؛ فالتعدد في الحضارة الإسلامية يختلف معناه عن التعدد عند الأفارقة أو المورمن (فرقة مسيحية في أميركا)⁽³⁾. كذلك سيكون مفهوم التعدد مختلفاً من مرحلة تاريخية إلى أخرى، فالتعدد في العصور الإسلامية السابقة مختلف عما هو عليه الحال اليوم، وهو مختلف بين المجتمعات العربية؛ إذ إنه في الأقطار العربية النفطية الثرية مختلف عنه في غيرها على سبيل المثال. والنظرة إلى التعدد تختلف بحسب النظرة النسوية، وهي نظرة مهمة ستكون موضوعاً اهتمامنا في هذا البحث. ومن ثم ظاهرة التعدد المتعددة الجوانب لا يمكن تناولها أو الحديث عنها بصورة عامة وإجمالية دون الأخذ في الاعتبار التضاريس والاختلافات الدقيقة المصاحبة للظاهرة، كما هو الحال عند الحديث عن الزواج أو الصداق أو الطلاق بوجه عام. إذاً فنحن نتناول هنا تجربة التعدد وليس شرعيته ونؤكد على أهمية وجود تصورات وآراء تفصيلية مختلفة.

ونظراً لأن تركيز هذا البحث سيكون حول رؤية المرأة العربية المسلمة (في العصر الحديث وبالتحديد في المجتمع العربي السعودي في منطقة الحجاز على وجه التخصيص) وتصورها للتعدد، ربما كان من المهم أن ندرس التعابير المستخدمة من قبل المرأة عند الحديث عن «الزوجة الأخرى»⁽⁴⁾. وفي هذا المجال الدلالي نقابل المفردات التالية: الضرّة والطبينة والشريكة والرفيقة/ الونيسة والعدوة. ومن الواضح أن هذه

(2) نقصد بالوصف الكثيف المصطلح الذي قال به في الأساس رايل وتيناه كليفور غيرتس في دراسته الأنثروبولوجية؛ إذ يعدّ الدّارس إلى تقديم معلومات تفصيلية ومتعدّدة الأبعاد للظاهرة المدروسة كوسيلة للتعمق في فهمها.

(3) كما ذكرنا، التعدد كان واسع الانتشار بين زعماء القبائل الأفارقة، وكذلك عند بعض الطوائف الدينية كالمورمن؛ على أن الإسلام حدّد أعلى عدد للزوجات ووضع ضوابط لهذا النوع من العلاقات صوناً لحقوق المرأة وتأكيداً لكرامتها فلا تتزوج الأخوات، أو الأم وأبنتها أو عمتها أو خالتها وهكذا، وهو أمر يحدث عند الأفارقة والمورمن!

(4) «الزوجة الأخرى» من منظور كل زوجة من الزوجات المشتركات في زوجة تعدد.

التعابير ليست تعابير محايدة وإنما هي تعابير مشحونة بالدلالات. فالضرة تعني التي الحقت بي الضرر والطبينة هي المخادعة والعدوة من العداء. على أن تعابير الشريكة أي التي أشترك معها في زوج واحد، وتعبير الرفيقة أو الونيصة هي تعابير تحمل دلالات إيجابية وتستخدمها البدويات المنقطعات في البراري تعبيراً عن موافقتهن بل ربما الحاحهن على وجود امرأة أخرى تعيش معها وتشاركها حياتها الخاصة. وغالباً ما تستخدم كل التعابير السابقة من قبل الزوجة الأولى، على أن الزوجة الثانية أو الأخرى بصورة إجمالية قد تستخدم هذه التعابير. لكن غالباً ما تستخدم الزوجة الأخرى تعبيراً يحمل دلالات محايدة مثل «إمرأة زوجي» أو «أم أولاد زوجي»، أي المرأة الأخرى التي على ذمة زوجي، عاكسة بذلك عدم مسؤوليتها أو أن يكون لها ضلع في قيام أو استمرار هذه العلاقة، كما سنرى!⁽⁵⁾

والحديث في العادة عن موضوع التعدد بين النساء يمكن النظر إليه بصورة إجمالية من الزوايا التالية: (1) لماذا تزوج عليها؟ ما الذي ينقصه ولم تقم به تجاهه؟ ويكون التركيز في هذه الزاوية على إلقاء اللوم على الزوجة الأولى والتأكيد إما على إهمالها أو أن اختياره لم يكن موفقاً أو أنها لم تتمكن من تقديم ما يليبي طلباته سواء الجنسية أو الحياتية أو منصبه ووجاهته الاجتماعية أو غير ذلك. (2) ما خطبُه لماذا تزوج على زوجته الجميلة العاقلة؟ والتأكيد هنا على أن الزوجة الأولى سيدة فاضلة وتقدم على أنها حالة الزوجة المثالية والعييب أو النكران إنما هو من الزوج، الذي يقال عنه «عينه فاضية»، و«نسونجي»، وغير ذلك من نعوت بؤرة النقد واللوم فيها تكون موجهة للرجل وليس للمرأة. (3) يؤكد فيها على الزوجة الأخرى الجديدة والتي يؤكد فيها على أنها خطافة رجال وأنها حواء المغرية و«خاربة البيوت» وأن الزوج ضحية شهوتها وملاحقتها ومن ثم يركز اللوم عليها وتبرئة ساحة الأطراف الأخرى. (4) الحالة الأخيرة وهي التي تكون فيها الظروف هي التي دفعت للتعدد مثل قلة الإنجاب أو العقم أو مرض الزوجة الأولى أو السفر والإقامة في منطقة أخرى لا يمكن للزوجة الأولى الانتقال إليها أو غير ذلك من ظروف ملحة استدعت قيام التعدد!⁽⁶⁾

ومن الواضح أن كل زاوية من هذه الزوايا ستلَوْن رؤية الدارس أو المحلل لهذه المؤسسة من حيث تحليل الدوافع والتفسيرات التي يمكن أن يعتمد عليها في وصف ومن ثم تحليل ما يقوم به الفاعلون الاجتماعيون الذين يشكلون أطرافاً في هذه الظاهرة (الزوج والزوجة وأفراد أسرهم ومَن حولهم من أقارب وأصدقاء). ومما يزيد من تعقيد الحالة أنه بالإمكان، دائماً، أن تكون زوايا الرؤية عند الأطراف المختلفين في الحالة

(5) سنقوم بتفصيل تحليل هذه العلاقات والتسميات في مقالة لاحقة بعنوان «تأثير النوع والثقافة على تفسير وتحليل علاقات التعدد في الزواج».

(6) تبرز الأدبيات الاعتذارية في الكتابات الإسلامية المعاصرة «الحالة الأخيرة، كاتوى مبرر «مقبول»، للتعدد، بالرغم من أنه كما هو واضح ليس السبب الأكثر انتشاراً للتعدد.

الواحدة تنتمي إلى أكثر من رؤية! مما يجعل وصف وتفسير كل طرف مختلفاً لكنه ليس خاطئاً بقدر ما يعبر عن وجهة نظر مختلفة، وهو أمر في غاية الأهمية والدقة. إضافة إلى ذلك، فإن علاقات التعدد ترتكز على جملة من القيم الثقافية الأساسية المنظمة لصلات وعلاقات الناس ببعضهم البعض بوجه عام وفهم لما ينبغي أن يسود هذه العلاقات من قواعد سلوكية⁽⁷⁾. ولعل من أهم هذه القيم الثقافية ما يلي: الغيرة: وهي قيمة ترتبط بمنظومة قيم محورية فيها مفهوم تقييم الأنا في منظور الآخر. فهي تصبح قيمة إيجابية إن كان التأكيد فيها على كرامة وسمعة الأنا عند الآخرين، بمعنى أنني أرفض أن أكون في منزلة أو مرتبة تالية مقارنة بغيري، ومن ثم فالزوجة الأولى تنظر إلى الزوجات اللاحقات على أساس أنهن تمكّن من الحصول على زوجها بالرغم منها، مما يجعلهن يعانين من «غيرة»، أي رفض الإجابة على السؤال: ما الذي تفضلني به؟ ولماذا اختارها علي؟ والإلحاح على السؤال: لماذا في الأصل يكون هناك غيري في حياته؟؟.

أما القيمة الثقافية الأخرى فهي مفهوم الولاء والعشرة وهو مفهوم يقوم في الأساس على تأكيد أهمية «التبادلية»، أي المتوقع أنه بالقدر الذي أقدم فيه ما أقدمه أتوقع أن يكون عطاء الآخر أو على الأقل تقديره مساوياً له. ومن ثم فإن الزوجة الأولى تنظر إلى مسألة اقتران زوجها بامرأة أخرى عليها نوعاً من «الخيانة» أو «عدم التقدير» و«نكران للعشرة» أو «نكران لجميل صنعها». ويدور في فلك هذه القيمة كل المفاهيم المحددة لنوعية العلاقة الزوجية وقواعد الارتباط فيها من منظور الرجل والمرأة، والمختلفة للأسف في ثقافتنا العربية بشكل كبير. فعلاقة الزواج عند الرجل تقوم على التزام التكاليف المادية من حيث الأساس في هذه العلاقة، بينما تؤكد المرأة كثيراً على التكاليف والأعباء العاطفية والاجتماعية، مما يستلزم في معظم الأحيان اختلافاً في زاوية الرؤية والتقييم.

أما القيمة الثقافية الثالثة فهي تتصل بالمكانة والدور ومحدداتها داخل الأسرة وصلتها بالسن والاحترام. فالمرأة ترى أن الحياة الزوجية هي مملكتها وعالمها؛ ومن ثم مدى سيطرتها عليها وإمسакها بزمam الأمور أمر في غاية الأهمية ولكن زواج زوجها بامرأة أخرى يؤكد أن لها شركاء أو على الأقل ليست لها السيطرة الكاملة؛ ومن ثم فإن مكانتها عند زوجها ليست مطلقة وإن الأدوار التي تقوم بها (بالتحديد أدوار الأم والزوجة وربة المنزل) أدوار لها فيها منافس، مما يولد تعارضاً وتداخلاً في الأدوار.

كذلك من القيم الثقافية مسألة جمال وسن المرأة وأنها لم تعد موضع الاهتمام أو رغبة الآخر المهم (الزوج)؛ وهذه القيمة تستدعي بقوة مسألة الانوثة والجاذبية والرومانسية والحب، والزوجة الأولى هنا تشعر بأن في الأمر خللاً يقف حائلاً دون

(7) سنوضح بشكل تفصيلي هذه القواعد السلوكية في مقالة: «تأثير النوع والثقافة على تفسير وتحليل علاقات التعدد في الزواج».

تقديم كل هذه الأمور لزوجها؛ ومما يزيد من غلواء الأمر أن ثقافة المجتمع تجعل هذه المسألة ذات خصوصية خاصة لا تنفتح سوى على الزوجين مع بعضهما البعض، ومن ثم فإن أحكام الزوج تتبدى في غاية الأهمية وموقف الزوجة في غاية الضعف.

وتتداخل قيم الضعف والانكسار والإهمال والتهميش والهزيمة وتخلي الآخرين عن الذات من أهم ما تعاني منه الزوجة الأولى، أو على الأقل سيُفسر مجمل ردود فعلها على أساس ذلك، وهذه الدلالات تحمل معها قيماً سلوكية في الثقافة، إذ ربما على الضعيف الاستسلام أو الابتعاد اجتماعياً عن الأنظار؛ وهكذا تصبح منظومة القيم الثقافية موجهاً هاماً في الكيفية التي ستواجه بها الزوجة الأولى ظروف التعدد قبولاً ورفضاً.

أما قيم الانتصار وتحقيق الطموح والتأكيد على القوة وما يدخل في هذه المنظومة في العادة فإنه يرتبط بالزوجة الجديدة، وهذا يولد بطبيعة الحال أيضاً مجموعة القيم الثقافية السلوكية المرتبطة بها من قبول أو رفض من طرف من حولها ويعكس في الوقت عينه تلك الشخصية في تعاملها مع النساء حولها انفتاحاً أو انزواءً.

وأخيراً من المهم النظر إلى مجموعة القيم الموجهة إلى حالات الصراع ولعبه وإدارته بين من عليهم في نهاية الأمر أن يشتركوا في سياق بنية واحدة: الزواج. وهي قيم تتداخل فيها الأحقاد والكراهية في الحب وضرورة التفاهم، وتتدخل فيها ضرورة التعارف عن كُتْب والتجاهل المتعمد، إضافة إلى استمرار الحرب القائمة على ضرورة تقييم قدرات وإمكانات الآخر بموضوعية، لكن في الوقت نفسه التقليل من شأنه وتأكيد التفوق عليه!؟.

ونحن في هذا البحث نحاول السعي إلى أن تقوم النساء أنفسهن بتقديم كلٍّ أو جلِّ هذه القيم في سياقاتها الخاصة، مؤكدين أن كل حالة تعدد تشكل حالة لها خصوصية. لذا فإننا نقدم الحالات المدروسة من أربعة مستويات⁽⁸⁾ هي:

1 . مرآة الذات: أي نسمح للمرأة التي تعيش حالة زواج تعددي أن تقدم نفسها كما تراه، في ما يخص ارتباطها بالزواج الذي تعيشه. وهنا نترك لها الحرية في أن تؤكد على ما تراه صفاتها وخصائصها الشخصية التي تجعلها سيدة مرغوبة وينبغي أن تحصل على الولاء والتقدير المناسب من زوجها.

2 . مرآة الجماعة الأولية: الزوج والأبناء: وهنا نطلب من المرأة أن تصف علاقاتها بزوجها قبل وبعد التعدد (للزوجة الأولى) ومع التعدد وأسباب الاقتران بها (في الحاليتين)، إضافة إلى علاقتها بأطفالها مع التأكيد على أهمية الأطفال في تشكيل وتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة بصورة إجمالية. ونسعى هنا إلى سماع ما تراه

(8) استخدامنا هذه المستويات الأربعة كوسيلة لجمع البيانات والوصول من خلالها إلى وصف كثيف، يضمن تعدد أصوات المدروسين ويسمح برؤية أوسع لما يجري في المجتمع المدروس.

الزوجات في أنفسهن في الطريقة أو الأسلوب الذي قامت به هذه العلاقات من ناحية ودورهن - كما يرينه - في تأسيس هذه العلاقات وتشكيلها.

3 . مرآة الضرورة: وهنا نقدم للمرأة الفرصة للتعبير عن نفسها بالحديث عن المرأة الأخرى التي يرتبط بها زوجها، وهنا نلح ونؤكد على أن هذه العلاقة لا يمكن أن تكون أحادية بسيطة، فهي متعددة الجوانب معقدة، ليست كلها سلبية ولا كلها إيجابية، ونلح بالتحديد على الزوجة الأولى أن تقدم لنا ما يمكن أن يبرر به زوجها الأسباب التي جعلته يقترن بأخرى.

4 . مرآة الجماعة المرجعية: الصديقات والمجتمع المحلي: وهنا نلاحق المرأة لتحدثنا عن الكيفية التي يعاملها بها المجتمع النسوي وما هي الآراء ووجهات النظر حيال التعدد في هذا الوسط بصورة إجمالية، إضافة إلى الكيفية التي تعامل بها المرأة نظيرتها المرأة في حالة تعدد، سواء كانت الزوجة الأولى أو التالية.

ولقد اخترنا حالات بذلنا ما في الوسع كيما تكون مختلفة، من أوساط اجتماعية وثقافية مختلفة من مكة وجدة والطائف والمدينة، وأجرينا معها مقابلات، وأكدنا في دراستنا الميدانية على أن نختار في كل الحالات إجراء الدراسة على الضرتين معاً وبشكل تقابلي صارم، أي أن نقدم لهما الأسئلة عينها وإن أمكن التعمق بالحديث معهما بالإشارة لما يمكن أن يكون عليه رأي الزوجة الأخرى. ونحن إذ نقدم للدارس هنا الحالات بشكلها المفصل إنما نؤكد على أن أفضل من يمكنه الحديث عن التعدد من وجهة نظر المرأة هو المرأة، دون تدخل أو تعديل من قبل الباحث، وأن يكون متحدثاً بالنيابة عنها. ولقد استخدمنا هذا الأسلوب جرياً على ما يفعله اليوم كثير من الأنثروبولوجيين ممن يؤكدون على أهمية تعدد الأصوات والسماح لها بالتعبير المباشر بدلاً من حجبتها بحجة تمثيلها⁽⁹⁾.

ولقد جرت كل هذه الدراسات الميدانية في ما بين 1994 - 1995، وقام بجمع المادة الميدانية فريق من طالبات الدراسات العليا في جامعة الملك عبد العزيز تمّ تدريبهن على القيام بالعمل، إضافة إلى أن المادة العلمية تمّ تسجيلها كما هي ميدانياً ولقد حاولنا تقديم آراء المدرسات بتعابيرهن ما أمكن⁽¹⁰⁾.

(9) يعدّ أسلوب السماح للمدرسين التعبير عن ذواتهم من الوسائل أو الأساليب الأكثر رواجاً بين علماء الأنثروبولوجيا اليوم، ولعلّ ما قدّمه كلين دواير في محادثات مغربية وهنري متسون في أسرة سيدي عبد الله وغيرها، إنما يؤكّد هذا الاتجاه. ولقد سعينا هنا إلى الاحتفاظ بلهجة وأسلوب تعبير المدرسين ما أمكن.
(10) قامت طالبات دراسات عليا، قمتُ بتدريبهن بإجراء المقابلات الميدانية، وكانت نتيجة ما تمّ جمعه هو ما نعرض طرّقاً منه في هذه المقالة.

الحالة الأولى

«هي في الخامسة والخمسين متوسطة الجمال كانت تعمل في سلك التعليم ولها ثلاثة أبناء ذكور أصغرهم في الثانية عشر من عمره وزوجها رجل أعمال ناجح ويعمل في منصب هام في الدولة وذو ثراء وهو في الخمسين من عمره. والزوجان من الأقارب، وزواجهما كان مرتباً، ولقد رتبت والدتها زواجها دون علمها - كان والدها ليس على قيد الحياة آنذاك - لكنها وإن كانت مترددة في قبوله في البداية فقد قبلت به بعد ذلك إذ وجدته زوجاً مناسباً ومحترماً ومتعلماً وكانت تريد من يحمل عبئها عن أهلها. ولقد اختارها كزوجة - في وجهة نظرها - لأنها من أسرة محافظة ومحترمة مشهورة بالعلم والتقوى. وتوضح أنها عانت الكثير معه في السنوات الأولى من زواجهما؛ إذ سافر الزوج لإكمال دراسته الجامعية في الولايات المتحدة الأميركية تاركاً لها أن تتحمل بمفردها مسؤولية ولديها والإنفاق عليهما من عملها مما سبب لها مرضاً عضوياً تحول إلى مرض نفسي «اكتئاب حاد» بسبب أنانية زوجها وانعدام المسؤولية عنده - كما ترى - وحينما عاد الزوج من الخارج عمل موظفاً حكومياً وحمل عنها المسؤوليات الأسرية وبخاصة المالية مما أراحها قليلاً. لكنه كان دائماً متوتراً ومشحوناً ضدها وهما في مناقشات وجدل حاد مما دفعه إلى السهر والسفر إلى الخارج لفترات طويلة، واستمرت الحياة بينهما على هذه الحال لمدة ثلاثين عاماً، علمت فيما بعد أنه تزوج بامرأة ثانية؛ ولقد أصابها الخبر بصدمة شديدة أدت بها إلى الهستيريا والتفكير في الانتحار عدة مرات ثم دخولها المستشفى للعلاج لعدة أشهر. ولقد قبلت بعد فترة بالأمر الواقع.»

الزوجة الأولى / الحالة الأولى

• كيف تعطل سبب زواج زوجها بغيرها؟

«هو دائماً مسافر «كالطير المهاجر من مكان لآخر»، ويعيش في عالم السهرات والمجاملات والاختلاط ويحتاج إلى سيدة بجواره تجاربه في ذلك وتعمل ما يحلو له دون خجل أو حياء من الله. إضافة إلى أن معظم أصدقائه متزوجين بأكثر من امرأة بالرغم من أنه مضى على زواجهم الأول فترة طويلة جداً، وهو لا ينقصه شيء: المال واللباقة الاجتماعية.»

• كيف ترى نفسها بعد زواجه بامرأة ثانية؟

«أصببت بصدمة شديدة جداً لاني لم أتوقع هذه الخيانة منه بعد العشرة الطويلة، ولقد أردتني الصدمة طريحة الفراش في المستشفى لفترة طويلة، حاولت فيها الانتحار عدة مرات لكنني ولله الحمد لم أفلح في ذلك. ثم طلبت الطلاق منه لكنه رفض صيانة للعشرة - على حد قوله - بعد هذا العمر الطويل الذي بيننا، ثم أخيراً استسلمت للواقع

وقبلته على مضض وبدأت في الخروج للندوات الدينية والانغماس في الصلوات مما دفعني إلى الهدوء والسكينة. وهي ترى أنها: «كنت له زوجة مثالية وعمرى ما قصرت في أي واجب من واجباتي تجاهه أو تجاه أولادي، لكنه أناني مادي مهمل ومتطلع للجنس الآخر ولقد خانني وفعل فعلته تلك مع تلك التي كانت تركض وراءه وتنصب شباكها حوله حتى اصطادته، ولكن حسبي الله ونعم الوكيل».

● رأيها في الزوجة الثانية وعلاقتها بها؟

أجابت بتقرز «سارقة للرجال وطماعة تريد المنصب والمال والجاه وهي لهذا خطفت مني زوجي وخطفت من أولادي والدم وجعلته ينفق الأموال الطائلة عليها في شقتها الضخمة هنا وعلى بيتها الذي اشتراه لها في «بلدها».

وأنها «اشتركت مع زوجي في الخيانة. خانني زوجي بعد العشرة الطويلة وسنوات الكفاح التي قضيتها معه على الحلوة والمرّة وكان في النهاية جزائي هو الخيانة!!».

وهي مترددة في حكمها على ضررتها: «أحياناً أعاملها بلطف وأقول ليس لها ذنب على ما حدث لكني لا ألبث أن أثور لكرامتي وأدعوها بالسارقة وأعاملها كعدوة أو أعاملها بحذر وأتتبع أخبارها بالتفصيل. دائماً ما أصفها بالساقطة خاطفة الرجال وذلك أمام السيدات في كل المجتمعات، حتى لاقيت النقد اللاذع من المجتمع النسوي، مما دفعني للكف عن الحديث عنها مجبرة وعلى مضض».

● أما عن علاقتها معها؟

«دائماً علاقة متوترة ونادراً ما تكون هادئة أو جيدة ولكننا نحافظ على وجود علاقة بيننا، خصوصاً في التجمعات الأهلية الكبرى للعائلة، ويمكن أن أتعاون معها في اضيق الحدود لكن دون أن أسمح لها بالتدخل في شؤوني الحياتية بأي شكل من الأشكال فعلاقتي بها مرتبهة بحبها لزوجي ولتأثيرها وسحرها القوي عليه».

● أما نظرتها لزوجها بعد زواجه الثانية؟

«أصبح دائماً في حزن الزوجة الثانية وقليلاً ما يحضر ليراني أو يرى ابنه المقيم معي. لا أنكر أنه أصبح أقل توتراً وانفعالاً معي ومع ابنه في المنزل، وهو يحاول في حالة وجوده معنا أن يهتم بمشاكلنا ويدعمنا مادياً ومعنوياً، وهو لا يقصّر أبداً في الإنفاق المادي على الجميع، لكنه لا يخرج معي سوى نادراً ولا يسافر معي أبداً لأنني نكدية - كما يقول - بينما يخرج ويسافر معها دوماً مما يجعلنا نكاد لا نراه في السنة سوى أيام معدودة جداً. طبعاً هيمان في حب... اللعوب التي سحرته هي وأهلها».

● كيف ترى معاملته لها؟

«لا يسيء لي ولكنه يهملني لأنني لا أستحق شيئاً - كما يقول - ولأنني دوماً مريضة ومكتئبة بينما هو يحب الفرح والمرح والسهرات، على أنني أحياناً أخرى أجده يحسن معاملتي ويحاول مراعاة مشاعري كنوع من العطف والحزن لحالي ولمرضى الدائم».

● ماذا عن علاقتها بأطفالها بعد دخول الزوجة الثانية حياتها العائلية؟

«الإبن الوحيد المقيم معي في سن الثانية عشر، أي في مرحلة المراهقة مما جعلني أعاني الكثير في تربيته، فهو متمرد كثيراً ومضطرب نفسياً لعدم وجود سلطة أبوية مباشرة ولعدم اهتمام أبيه الكافي به. وأنا في خلاف حاد ونزاع دائم معه حتى إنني أضربه في كثير من الأحيان، فأنا مريضة ولا أتحمل ضغوط وأعباء كثيرة فوق طاقتي، أما باقي أبنائي فكل واحد منهم مشغول بحياته الخاصة ولا يسأل عني سوى في مناسبات محدّدة أو في حالة شدة المرض عليّ.

أنا متشددة كثيراً مع إبني في دراسته وأرغب في تفوقه الدائم بالضغط عليه كثيراً. حاولت تقديم التبريرات الكافية لزواج والده بثانية، وقلت له إنه يحتاج لزوجة ترعاه وتقوم بشؤونه وهي لا بد أن تكون سليمة الجسم والروح حتى تتمكن من خدمته باقتدار لكنه لم يقتنع بحججي وهو لا يزال يحمل بعض الحقد على أبيه ويغار كثيراً عليه من زوجته الثانية، وهو يلوم والده على مرضي وعلى زواجه من أخرى وعلى عدم اهتمامه بي وبه».

● أما كيف يعاملها المجتمع النسوي؟

«سيدات المجتمع اللواتي أعرفهن رثين لحالي كثيراً في البداية وقلن: مسكينة تزوج عليها بعدما صبرت معه وساعدته ليصل إلى ما هو عليه حالياً». ثم ما لبثن أن قلن - وهن في معظمهن من الزميلات في العمل السابق - «أحسن تستاهل هي اللي ما عرفت تصون النعمة ودايماً مريضة ومنكدة ومكدرة وهو راجل فرفوش يحب المرح عشان كده طفش من نكدها وقرفها». على الأقل هذا ما وصلني عن بعض الصديقات. وعلى أي حال لن أستغرب فلقد قال المثل قديماً: «زوجك يبغاك متعافية وجيرانك يبغوك سخية وأملك يبغوك غنية». للأسف هذه أقوال الناس عني وهم يتضاحكون ويتغامزون على حالي مما جعلني أمتنع عن الخروج والزيارات سوى مع الأهل وفي أضيق الحدود طبعاً، فأنا لا أرغب في أن أسمع من الناس شيئاً عني أو عنها».

● أما رأيها في تعدد الزوجات بصورة إجمالية؟

«هذا نظام أحله الشرع ولكن في حدود ضيقة جداً لكن الرجل الشرقي يستغل هذا

الحق ليضيع حقوق زوجته الاولى وابنائها وهذا حرام والله».

● اما رأيها في ما يجب ان تكون عليه علاقة الضرائر ببعضهن؟
«مستحيل ان تكون علاقة عظيمة او علاقة محبة بصفاء خالص بين الطرفين لان المرأة بطبعها غيورة مهما عملت وقالت».

الزوجة الثانية / الحالة الاولى

هي سيدة تبلغ من العمر الخامسة والثلاثين وكانت امرأة عاملة تجيد الفرنسية والإنكليزية بطلاقة ومتحدثة لبقة وسيدة منزل جيدة ولها نصيب بسيط من الجمال - اقل من الاولى - وهي من بلد عربي.

● اما عن الكيفية التي تم بها زواجهما فتوضح:
«تقابلنا بالصدفة في إحدى الطائرات وكان «الحب من اول نظرة». ثم استمرت العلاقة بينهما فترة سنة ومن ثم الخطبة فعقد القران».

● ما الذي جعلك تقبلين بالزواج من رجل متزوج بامرأة اخرى؟
«والله كان حبا صاعقا حتى انني لم افكر في البداية بأنه متزوج ولديه أبناء من الاولى او كبير في العمر او أنه ذو منصب بل أحببته لشخصه ولأدب أخلاقه ولطيب حديثه ولطف معاملته لي واحترام الجميع له، كذلك هو أعجبه أدبي ولطف حديثي ولباقتي وحسن تعاملي مع الآخرين، كما أنني دائمة الابتسام والتفاؤل. ولقد مرّ على زواجنا الآن عام ونحن على احسن حال، خصوصا حينما يكون في بلدي فهو عندها يتفرغ لي تماما ونقضي الامسيات سوياً في فرح وسعادة وحب غامر والحمد لله!».

● ما الذي يجعلك واثقة من نفسك؟

«الحمد لله، أنا في نظره ونظر نفسي احاول دائماً الوصول إلى الافضل وأعمل على إسعاده دوماً حتى إنني أقف في وجه أقوى الظروف معه وأحمل عنه بعض أعباء العمل وهمومه ليرتاح وينام مطمئن البال هانئاً في بيته الثاني، طبعاً وجد في ما افتقده في زوجته الاولى ذات الوجه الكئيب - كما يقول زوجي - وعلاقتي معه على احسن حال ونحن دائماً في فرح وارتياح سوياً. ينفق علي وعلى أهلي بلا حدود ويقدم الثمين والغالي لإسعادي ويقضي معي معظم أوقاته هنا في جدة وفي... ونسافر معاً دائماً ونقضي أسعد الأوقات بعيداً عن أي مشاكل أو شجار والحمد لله...».

● أما عن علاقتها بضررتها؟

«بادرت بالتعرف عليّ وأرسلت لي هدية لزواجي مما أدهشني، ثم علمت أنها قامت بذلك فقط لإرضاء زوجي المولع في غرامي، وأنا بدوري زرتها في مناسبات قليلة كالعزاء في ميت ونحوه، أي في الضروري فقط. فأنا لا أحب مخالطتها كثيراً أو أن تتدخل في حياتي، فهذا ما لن أقبله أبداً. وأنا لا أعاملها كعدوة بل كسيدة مريضة متألّمة لبُعد زوجها عنها فأحزن كثيراً لوحدتها الدائمة مع نفسها.

أنا لا أتحدث عنها أبداً مع الآخرين لا بالحسن ولا بالسيئ، وقد أتعاون معها بكل تأكيد في حالة الضرورة حتى لا يتفرق شمل الأسرة ولا يبتعد عني أو عنها زوجها».

● أما عن نظرتها لرؤية المجتمع النسوي لها؟

«إن المجتمع لا يراني سارقة بل ينصفني لأنني انتشلت هذا الرجل العظيم من الهلاك والحزن والغم والكآبة، لدينا المرح والسعادة بل إن الجميع يحسدني على ما أنا فيه من عز وسعادة ونعيم، خصوصاً من صديقاتي ويتمنين أن يكون حظهن مثل حظي في الزواج!..»

● أما رأيها في تعدد الزوجات بصورة إجمالية؟

«اللّه لم يبح ذلك إلا لحكمة، وفي زواجي هذا حكمة، وحفاظ للرجل من الضياع ومن الحرام. للأسف المجتمع دائماً يرى أن الزوجة الأولى مظلومة ومغلوبة على أمرها وهذا خطأ لأنها قد تكون أيضاً مقصرة وظالمة. وأنا أعيش في وسط هذا المجتمع، الذي أحبه وأود أن يحبني فيه الجميع ويكوّنوا عني صورة جيدة مقبولة من طرف الجميع. يا رب!..»

● ما هي العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الضرائر؟

«لا بد من قيام علاقة جيدة نوعاً ما، لكن في أضيق الحدود، وبدون تدخل أي طرف في حياة الطرف الآخر وذلك حتى يرتاح الجميع!..»

الحالة الثانية

هي سيدة تبلغ الثانية والخمسين من عمرها ومتوسطة الجمال ونالت قسطاً بسيطاً من التعليم وربة منزل، لا تعمل، ولديها من البنات ست كبار وأصغرهم ذكر يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً. أما زوجها فسنه خمسون عاماً. وكان يعمل موظفاً لدى أبيها ولم يحصل سوى على الشهادة الابتدائية وهو الآن متوسط الثراء في حين أنها واسعة الثراء».

الزوجة الأولى / الحالة الثانية

● كيف اقتنرت بزوجها؟

«كان يعمل موظفاً عند والدي وكان يصغرني في العمر، وتقدم لخطبتي طامعاً في المال والمنصب من زواجه بي وكان «النصيب». وطبعاً لقد استطاع أن يخدع والدي بطيب مظهره ولطف كلامه وقبلت بالزواج منه للأسف واستمرت حياتنا معاً لمدة خمسة عشر عاماً أنجبنا خلالها البنات والبنين ولكنه كان «قليل الأصل» وسيء الخلق وفظيع الطباع وفظ المعشر وتزوج من الأخرى، والآن أنا متزوجة منه مؤبد، أي ثلاثين عاماً أو أكثر».

● ما سبب زواجه من الثانية؟

«عينه فارغة» وهو سيء الأخلاق وليس لديه دين يردعه عن معاشره النساء، فزوجي للأسف سيء وفظيع قلباً وقالباً ولا يُطاق وأنا أتحملة لوجود الأولاد بيننا فقط. كنت أتوقع ذلك منه فلقد كان دائم السفر و «يدور ويلف» باحثاً عن السيدات وعن نزواته في كل مكان دون مراعاة لدين أو لمشاعري أو لأي شيء فهو لا يهتم سوى نفسه، لذلك لم أهتم بزواجه من أخرى فهو يعيش دوماً لنفسه وبمفرده وبمعزل عن الجميع».

● هل ترين نفسك مسؤولة عما حدث؟

«لا لست مسؤولة، يعلم الله والجميع أن زوجي منذ شبابه «بصبيجي» وعيونه طويلة، ولا يخاف الله بل حتى إنه سكير ولا يهتم في الدنيا سوى نفسه؛ لذا ليس غريباً عليه زواجه مرة ثانية وثالثة ورابعة أيضاً. أنا لست ملومة على ما يحدث بل هو وحده المسؤول عن تدهور حاله. أنا طول عمري مظلومة معاه، فهو لا يصون عشرة ولا يحسن معاملتي، حتى أولاده يضربهم ولا يهتم سوى متعته الشخصية».

● عن علاقته بها بعد زواجه بالثانية؟

«دائماً حاله سيء ولم يتغير في الأمر شيء ولا أدري هل يحسن معاملة الثانية، أما معاملته لأولاده وبناته فهو يضربهم ولا يُنفق عليهم سوى في حالات نادرة. وهو لا يسافر معي للخارج وإنما مع الزوجة الثانية ومرة واحدة سافر مع بناته بصحبة الزوجة الجديدة. وهو فظ الطباع غليظ اللسان لا يعرف الكلمة الحلوة أو القول الميسور، دائماً لا يسمع منه سوى السب والشتم والضرب، خصوصاً إذا كان سكراناً والعياذ بالله».

• أما رأيها في الضررة وعلاقتها بها؟

«إنها منحلة الأخلاق، فلقد تعرفت على زوجي وهي زوجة لصديقه وأم لأولاده وأقامت معه علاقة ثم انتهت بطلاقها من الأول وتركت أبناءها منه وتزوجت من زوجي وأنجبت منه ولداً وحيداً عمره الآن سبع سنوات. ويصدق فيها وفيه المثل الشائع: «إيش لم تان تان على تتنن، واحد نتن والثاني أنتن» و «البيض الفاسد يتدحرج على بعضه».

لم تزرني سوى مرة واحدة فقط ولفترة بسيطة بناء على أمر زوجي لها، لا أعرف لماذا لا أود التعرف عليها فهي فاسدة وسيئة مثله. وعلى أي حال هي في حالها وأنا في حالي لا أراها ولا تراني مع أننا جيران والشباك أمام الشباك ولا توجد علاقة بيننا وهذا أفضل للجميع. وأنا لا أتدخل في حالها ولا أهتم بمعرفة أي شيء عنها ولا يمكنني أن أتعاون معها، فهي الشيطان بعينه حتى ولو في أحلك الظروف فلا أمد لها يد العون ولا أتعرف عليها...».

• كيف هي علاقتك بأبنائك؟

«أنا أم مثالية لبناتي وإبني بل إنني أربي ابن الثانية لأنه غلبان وأمه لا تصلح لشيء سوى لقلة الأدب للأسف. الحمد لله أحسنت تربية بناتي وتعليمهن في أحسن الكليات فمهن الطبيبات وخريجات اقتصاد منزلي، أما إبني فهو في الثانوية ومتفوق في دراسته.

لم أتحدث معهم بشأنه، لأنهم يكرهونه، فهو يضربهم ولا يهتم بأمرهم بل لا ينفق عليهم كافاه الله».

• كيف يعاملك المجتمع النسوي؟

«الحمد لله الجميع يحترموني ويحبونني ويعلمون بسوء حالي مع زوجي والجميع يتعاطفون معي ويمدون لي يد المساعدة دائماً سواء كانوا من أهلي أو من أصدقائي. الكل يشكر ويقدر حسن أخلاقي وحسن تربيتي لبناتي وإبني ويعرفون سوء أخلاقه وفي الختام رضاهم (الناس) نابع من رضى ربي عني».

• أما عن رأيها في تعدد الزوجات؟

«الإسلام شرعه وأباحه في حدود ضيقة لحكمة من الشارع الحكيم. ونحن لا نعارض شرع الله ولكن نحترم حدوده أيضاً؛ إذ لا بد من العدل في الحقوق والواجبات بين جميع الزوجات وليس تفضيل إحداهن على الأخرى أو إلحاق الضرر بإحداهن!».

الزوجة الثانية / الحالة الثانية

«سعودية متوسطة الجمال وتبلغ من العمر الخامسة والأربعين وأم لإبن من زوجها الحالي، وكانت متزوجة من قبل ولها ثلاثة أولاد من زوجها الأول الذي كان صديقاً لزوجها الحالي».

● كيف تعرفت على زوجها الحالي؟

«طبعاً عن حب جارف. فلقد أحبني وأنا زوجة صديقه وأم أبنائه، وأنا وجدت فيه ما لم أجده في زوجي الأول، فأحببته بكل قلبي ثم تطلقت من الأول وتزوجته بكامل إرادتي ورغبتي وأنجبت منه ولدنا الوحيد. تزوجته لأننا نشترك في خصال وصفات كثيرة متقاربة، تجمع بين شخصيتينا وتقربنا من بعضنا البعض وتجعلنا في حالة حب ونشوة دائمة».

● رأيها في ضمرتها؟

«طبعاً قصرت في واجباتها الزوجية نحوه ولم تعرف كيف ترضيه وتشبع رغباته لذلك لجأ إليّ ووجد لدي ما لم يجده في الأولى، وهي تكبرني من حيث السن. لقد كنت مفتاح الفرج بالنسبة له من العذاب والحرمان الذي عاشه مع الأولى».

زرتها مرة واحدة بناء على رغبة زوجي ثم امتنعت تماماً عن زيارتها فانا لا أرغب في إقامة علاقة معها بالرغم من أننا متجاورتان في السكن لكنني لا أحبها ولا أطيق رؤيتها أو التعامل معها، ولا في أي ظرف من الظروف. وأرى أنها سيدة مهمة ولا تعرف كيف تحب ولا كيف تجذب زوجها إليها ليحبها ولا تتركه لغيرها. وأنا لا أتحدث عنها أبداً وأتحاشى أي حديث عنها ولا أحب التدخل في شؤونها فهي في حالها وأنا في حالي. ولا أرغب في إقامة أي علاقة معها على الإطلاق، ربما سوى في أضيق الحدود وعند الضرورة».

● كيف وضع علاقتها بزوجها الحالي وأبنائه؟

«علاقتي بزوجي في أحسن حال. فنحن دوماً معاً في حالة انبساط، سعادة، نساfer معاً بعيداً عن هموم الدنيا ومشاكلها. فزوجي مولع بغرامي لأبعد الحدود وهو كل شيء في حياتي وأنا كذلك».

ضرتي تحب إبني كثيراً وأنا لا أجد له الوقت الكافي للاهتمام به وتربيته، لذلك أتركه لها ترعاه وتقوم بتدريسه ومتابعة شؤون دراسته لأنه يكفيني والده ونفسي وحياتنا معاً».

• كيف هي نظرة المجتمع لها؟

«معظم الناس يرونني فاسدة الأخلاق سيئة السمعة خصوصاً بعد حبي للثاني وأنا متزوجة وأم. وهذا مما أطاح بسمعتي وأضرني كثيراً، لكنني لم أهتم للأمر كثيراً وتزوجته بالرغم من أهلي والجميع. على أي حال المجتمع ينظر للزوجة الأولى على أنها مقصرة ودفعته إلى الزواج من امرأة ثانية، أو أنها مظلومة وهو الظالم. على أي حال لا يهمني ما يقوله الناس، ولا يهمني سوى سعادتي مع زوجي».

• رأيها في تعدد الزوجات؟

«المجتمع يشجع على اتخاذ أكثر من زوجة لكثرة عدد النساء مقابل عدد الرجال ولأسباب أخرى. وأنا أفضل هذا النظام بدل الوقوع في الحرام».

الحالة الثالثة

الزوجة الأولى / الحالة الثالثة

«عمرها خمسة وثلاثون عاماً. عاشت في بادئ الأمر في مدينة الرياض لكنها انتقلت بسبب عملها إلى جدة، أم لثلاث بنات وولدين، إنه ابن عمها ولقد تزوجته وهي في السن الثامنة عشر وهو يبلغ من العمر 25 سنة. أعجبت به بعد العشرة ووجدته شخصية متزنة وكانت أسرتها تحترمه كما أنه محترم في أسرته. كانت حياتهما مستقرة يتفقان في كل شيء: تربية الأطفال وأسلوب الحياة... إلخ. أكمل زوجها تعليمه ووصل إلى مركز علمي لا بأس به في العلم والعمل، في الوقت الذي توقفت هي فيه عن إكمال دراستها؛ إذ لم تكمل مرحلة الثانوية العامة وذلك بطلب منه، فلقد كان يرى أن المرأة للمنزل، وللرجل العمل خارج المنزل».

لاحظت أن قبل زواجه بالمرأة الثانية بسنتين قد تغير كثيراً وأصبح يقارنها بغيرها من النساء ويصفها بأنها سطحية بالرغم من محاولتها مجاراته في أمور كثيرة حتى إنها أخذت تقرأ في مجال عمله لتحاوِّره. طلب منها الالتحاق بمعهد لتعلم الإنكليزية لكنها رفضت وكذلك رفضت السفر معه إلى الولايات المتحدة بحجة تعليم الأولاد فاتهمها بالتقصير وعدم الاهتمام به، وبعد عودته تغيرت فيه أشياء كثيرة، فبدل أن يقضي معظم أوقاته معها، ويأخذ رأيها أصبح لا يقضي معها أوقاتاً تذكر ولم يعد يثق بطريقتها في التفكير، بل وأصبح يتحدث عن احتمال زواجه بغيرها؟».

• في نظرها لماذا تزوج عليها بثانية؟

«يريدني أن أبقي بجانبه وأهتم به حتى لو كان ذلك على حساب بيتي وأطفالي. ولقد تغير تفكيره فلم يعد يسمعي كما كان بل أصبح ينتقدي ويقول إنه يريد زوجة

متعلمة تجاريه في كل شيء وتفهمه وتكون متفرغة له، بل أخذ ينعتني بالنكدة والعصبية في معظم الأوقات! أنا لا ألوم نفسي ولست السبب في إقدامه على الزواج بالثانية وحينما أناقشه وأرد عليه غالباً لا يستطيع الرد؛ إذ ليس له حجة فهو يريد الزواج بأخرى والسلام. ربما عاد ذلك إلى أصدقاء السوء الذين شجعوه على الأمر وحسنوه في عينيه! أما ادعاؤه بتقصيري في الدراسة، فهو يعلم منذ زواجنا بعدم رغبتني في مواصلة الدراسة وهو شخصياً شجعني على البقاء في البيت لذا فإنني أستغرب حجته بذلك الآن! ربما الحياة تغيرت في نظره الآن؛ إذ أصبح كثير الانتقاد لطريقي في الكلام واللبس وأسلوب الحديث وموضوعاته بل إنه ينتقد اهتمامي بشؤون الطبخ وترتيب المنزل وتربية الأطفال، وهو أصبح يرى هذه الأمور تافهة، فهو يكرر القول بأن هذا عمل الخادمتين اللتين في الدار أما أنا فيجب أن ينصب اهتمامي إليه وإليه فقط!.

● علاقتها بزوجها بعد الزواج بالثانية وكيف عرفت بذلك؟

«كما قلت، منذ فترة وهو يحاول إقناعي بالموافقة على الزواج من امرأة أخرى لكنني بطبيعة الحال رفضت مما جعله كثير الغياب كثير التذمر والاتهام بالتقصير في حقه، وفجأة أصرّ ونحن في إجازة الصيف على سفرنا سوياً إلى القاهرة وتركنا هناك مع عائلته الكبيرة لمدة عشرة أيام عرفت خلالها من إحدى أخواته أنه عقد زواجه على أخرى. لم أصدق في بادئ الأمر، إلا أنه حينما عاد لنا صارحنًا. كان الخبر صدمة غير متوقعة لم استطع لمدة شهرين القيام بأعباء المنزل لكن الحياة انتظمت بعد ذلك! علاقتنا الزوجية أصابها الفتور وأصبحت محصورة في مشاكل تربية الأبناء. حتى هو لم يعد يهتم بتناول وجبات الطعام معنا، بالرغم من أنه كان يشيد بطبخي. على أنه يلبي كل طلباتي فهو يخاف انتقادي ويسعى لأخذ خاطرني ويعمل جهده في رعاية أولادنا فهو على ما يظهر يرى ذلك من واجباته.»

● ماذا عن علاقتها بضررتها؟

«لم أتعرف عليها في السنة الأولى من زواجها، وإذا ما قارنت نفسي بها فإنني أجد أنها أقل مني جمالاً وجاهاً اجتماعياً؛ وبالرغم من أنه كان يكرر أنه يريد لها متعلمة فهي ليست جامعية وإنما حاملة شهادة الثانوية العامة وتعمل موظفة في أحد البنوك، على أنها تصغره بإثني عشر عاماً، ويظهر أن سبب زواجه منها إقامته علاقة عاطفية معها جعلته يرتبط بها. أعرف بالتقريب كل شيء عنها فهي تحب عملها وتموت في المظاهر الاجتماعية الكاذبة وهي قليلة العناية بمنزلها تعتمد على الشغالة في كل شيء بل إن مصروفاتها كثيرة وتهتم بالزيارات وكثرة الخروج مما يزيد أعباء زوجها!.

أنا لا أرغب في الاحتكاك بها، بالرغم من أنها حاولت أن تقدم لي هدية لمناسبة العيد إلا أنني رفضت هديتها، فهذا نفاق. وعلى أي حال أنا لا أود التعامل معها، فهي

غيارة؛ تصوري أنها تطلب زوجي - حينما يكون عندنا - بصورة مستمرة ولا تريده أن يقضي وقتاً معنا!! قابلتها مرة بالصدفة في حفل زواج فوجدتها تعيسة جامدة تنظر لي بغيرة شديدة وتراقب حركاتي وتقارن لبسها بلبسي!.

● أما عن علاقتها بأطفالها؟

«الأطفال ليس لهم ذنب وهم أحباب الله، لكن قلبي تغيرَ فأنا لم أعد أتحملهم كما كنت لكن المسؤولية زادت عليّ. أطفالي وخاصة بكري، عمره أربعة عشر عاماً، يفهم كل الأمور التي في حياتي مع والدهم وهم دائماً يقولون لي إنهم غير راضين عن زواج والدهم، على أنهم، وخصوصاً إبني الكبير في حضور والده يكون راضياً عنه كل الرضى، ربما كان يجاملني وينافقني مثل والده!.

لم أرغب في تشويش أفكار بقية أطفالي أو إعطائهم فكرة سيئة عن والدهم فهو على أي حال والدهم ويجب عليهم احترامه وتقديره مما يجعلني في كثير من الأحيان أخفي همومي وأحزاني».

● كيف يراها المجتمع النسوي وكيف يعاملها؟

«معظمهن أكدن لي أنني الزوجة والسعيدة الأولى في حياته مهما حصل. ولقد تفهمن وضعي وتعاطفن معي وازداد احترامهن لي وفي الوقت نفسه سخطن على الثانية وكررن القول بأنها الخسرانة. فنحن من عائلة يكثر فيها التعدد؛ لذا وجدت تضامناً وتفهماً من الكثيرات من قريباتي مؤكدات على أنني لا استأهل أن يتزوج عليّ وأنني أفضل منها لكن الرجال عيونهم فارغة.

أنا يهمني رأي الناس بي بصراحة لأنني أعيش وسطهم، لكن أيضاً أهتم برأيهم في ضرتي؛ إذ أود معرفة السبب الوجيه الذي جعل زوجي يرتبط بها. لكن كما قلت الكل يثنى عليّ ويستغرب زواجه عليّ!.

الزوجة الثانية / الحالة الثالثة

● كيف تعرفت عليه وتزوجته؟

«تعرفت عليه عن طريق الصدفة بخصوص أعمال له في البنك وشاءت الأقدار أن يكون صديقاً لأحد أخوتي. لم يدر بخلدي أنني سأتزوج من شخص سبق له الزواج؛ فلقد تقدم لخطبتي الكثيرون وكان بإمكانني أن أرتبط بواحد منهم، وحينما عرفته لم أكن أعلم بزواجه، لكن حينما ذكرت اسمه عرفته عائلتي وأثنى عليه أخوتي ومدحوه وعلمت منهم أنه متزوج. مرت الايام وكثر مجال الاحتكاك في العمل بيننا واكتشفت أنه شخصية قوية ويحمل خصائص وصفات الرجل المسؤول الموهوب الواثق من نفسه

والصريح جداً. وقد لفتت هذه الصفات نظري إليه باعتباره شخصاً مميزاً بحيث إنه عندما عرض عليّ الزواج اشترطت عليه موافقة زوجته ورضاهما. لقد وجدت صعوبة في إقناع أسرتي بموقفي وتمكنت بعون الله من إقناعهم بهذا الزواج.

أنا لا أشعر بأنني خطفته من زوجته الأولى؛ إذ كان واضحاً أنه قد قرر سلفاً الزواج عليها قبل لقائي ووجدني أحقق طموحاته. بطبيعة الحال تمنيت لو أنه لم يكن مرتبطاً بغيري فإنا لا أريد أن أخرج أحداً لكنني في الوقت نفسه لن أمنع زواجي منه، وهو على أي حال وعد بالعدل بيننا!.

● ماذا عن علاقتها به بعد الزواج؟

«توقعت حياتي معه مسبقاً. فهو رجل متزوج؛ فحياتي في البداية لم تكن سهلة لكنني عملت جهدي بالرغم من المنغصات، ولقد حاول هو من جهته أن يشعرنني بحبه وحسن معاملته بالرغم من انشغاله بين البيتين فهو لم يتعمد قط إهمالي؛ بالرغم من الوحدة أحياناً فإنا أجدّه بجانبني عندما أحتاجه وهو يأخذ بخاطري ويراعي مشاعري».

● علاقتها بضررتها؟

«حاولت في البداية التعرف عليها وبالفعل تمكنت من جمع معلومات عنها. فهي للأسف عنيدة وعصبية تثور لاتفه الأمور ولا تترك مجالاً للحظات سعادة لزوجي. وهي عصبية مع أولادها. وتصوري أنها تغار من إحدى بناتها مع أن عمر البنت عشر سنوات فقط! من جهتي حاولت الاتصال بها والحديث معها وفي أحد الأعياد - مجاملة لزوجي - ذهبت لأسلم عليها ومعني هدية لها لكنها لم تستقبلني بل وشتمتني ووصفتني بكل النعوت. كنت أنوي إقامة علاقة صداقة ولو سطحية معها. أنا لا أكرهها لكنني لا أحبها. والآن بعد ما عانيت في محاولاتي السابقة لا أريد التعامل معها فهي وراثي في كل مكان تتابعني وترقب تصرفاتي ودائمة التنصت عليّ ولا يحلو لها مجلس في أي مكان دون أن تأتي على إسمي وتنسب لي تصرفات وأفعالاً لم أقم بها في الأصل بالرغم من عزوفي عن الكلام عنها حتى مع أسرتي. ولأنني لن أضيف جديداً فإنا أعرف الحياة التي دخلتها وارتضيتها. ولقد قامت بيننا قطيعة بالرغم من أنني مسالمة لأبعد الحدود لكنني أخذ حذري منها بعد الذي لقيته منها، فهي من النوع العنيف وعليّ أن لا أكون ضعيفة أمامها وإلا سحقتني!».

● علاقتها بأطفالها؟

«ليس لي أطفال بعد لكنني أتوقع أن أباهم سيكون طيب القلب ولن يقصر معهم، وأتمنى أن يحب أبناء ضررتي طفلي القادم فهو أخوهم. وأنا أشجع زوجي على الاهتمام بكل أبنائه وعلى الاهتمام بأمورهم المدرسية وتربيتهم. ويعلم الله كم أفرح حينما

اسمع بتفوق أحد أبنائه وأفتخر بذلك. وعلى أي حال يزورني إبني الكبير وهو يحبني وطلب المكوث عندي ويخرج للتسوق معي بل إنه يشتكي من أمه عندي وأسّر لي أنها تشتمني أمام والده! أنا أخاف من ضررتي على إبني فهي قاسية!..

● كيف يعاملها المجتمع النسوي؟

«المجتمع النسوي لم يعد يفرق بين زوجة أولى وثانية. وعلى أي حال لها بيتها ولي بيتي المستقل عنها وكلنا زوجة شرعية. والحمد لله لم أسمع تعليقات أو غمزات تُسيء من الناس. ومن يعرفونني يظهرون لي الحب والاحترام بالرغم من محبة السيدات للقول والقال. صحيح أنني حينها قابلت في البداية بعض المشاكل وحاولت أن أجد العون من بعض الصديقات لكنهن لمنني على زواجي منه، مما جعلني اكتفي بأخواتي في مثل هذه الحالات فقط. وعلى أي حال أود أن لا أكون مجال حديث المجتمعات النسائية لا علي ولا على ضررتي لأننا في النهاية نشكّل أسرة واحدة ونحن زوجتان لرجل واحد!..»

الحالة الرابعة

الزوجة الأولى / الحالة الرابعة

«أبلغ من العمر اثنين وخمسين عاماً. ولي من الأبناء ثمانية: أربع بنات وأربعه بنين. كنت أكبر أخوتي ولم أكن أجمل أخواتي بالرغم من أننا نتشابه كثيراً. تزوجت بالطريقة التقليدية؛ إذ لا يكون للبتن رأي في اختيار شريك حياتها. فأنا لم أكن أعرف عن زوجي شيئاً على الإطلاق سوى أن أباه صديق حميم لأبي وهو الذي تقدم لخطبتي. كان يكبرني بحوالي أحد عشر عاماً. حينما تزوجت كنت في سن الرابعة عشر وكان هو يبلغ من العمر 25 عاماً. وتمّ الزواج بناء على رغبة والدي وليس بناء على رغبتني - فأنا لم يكن لي رأي. بعد الزواج أصبح بيني وبينه احترام وود متبادلان؛ فلقد كان يمتاز بالحكمة والانضباط في التصرف، فهو موظف في مهنة محترمة.

لقد عمل على أن يوفر لي كل أسباب الحياة الزوجية الهادئة المستقرة وظلت الأمور بيننا على أحسن حال حتى مرّ على زواجنا ثماني سنوات لم نتجب فيها سوى ولد واحد؛ إذ لم يكن يعيش لي أطفال فهم إما كانوا يموتون أثناء الحمل أو بعد الولادة. وكان زوجي يعاني من مشكلة تؤرق حياته وهي «حب الذرية» وأن تكون له عائلة كبيرة، لكونه حُرّم من ذلك. فلقد توفي والده بعد مرور عامين على زواجنا أما والدته فقد توفيت أثناء ولادة شقيقه الأصغر الذي توفي بعد ذلك أيضاً. وهكذا أصبح زوجي بدون عائلة، صحيح أنه اعتبر أهلي عائلة له فقد كان يكنّ لهم كل التقدير والاحترام والود والبر.

وفاة والده جعلته يفكر بشكل دائم في حاله وحال أسرته الصغيرة فلم يكن يرغب في أن يعيش ابنه وضعه ويعيش وحدته نفسها. كنت أقدر كثيراً وضعه وأتالم كل الألم لذلك وكنت أسعى جاهدة لمعرفة السبب لفقداني اطفالي أثناء الحمل أو بعده لكن الأطباء أكدوا أنه لا يوجد سبب طبي يفسر الحالة مما دعاني للذهاب إلى الشيخ للعلاج بالعلاج الشعبي. وبالفعل أخبرنا الشيخ أنه إذا رغبت في الاحتفاظ بأطفالي فيجب على زوجي أن يتزوج بأخرى لأن الحمل لا يتم إلا بالغيرة الزوجية. وهذا ما أكدته أكثر من شيخاً.

● هل أنت إذاً السبب في جعله يفكر بالزواج من ثانية؟

«لا أعتقد أنني السبب في تفكيره بالزواج بأخرى، لكن السبب الرئيس هو معاناته من الحرمان الأسري ورغبته في تكوين أسرة كبيرة وهو أمر لا دخل لي فيه؛ إذ الحالتان من عند الله. وإيماني بأنني لست السبب فقد رفضت فكرة اقتران زوجي بثانية حتى بعد كلام الشيخ. فحاولت جاهدة أن أزيل هذه الفكرة من رأسه عاملة على جعله يتذكر أن هذه الأمور بيد الله وهو الذي يهب من يشاء البنين ويحرم من يشاء. لكنه كان دائماً يكرر قول النبي ﷺ: «ينقطع ابن آدم من الدنيا إلا من ثلاث والتي منها ولد صالح يدعو له» (كذا!). وعندما يئست من إقناعه عندها تدخلت والدي في الموضوع لإقناعه بالعدول عن الفكرة مؤقتاً فعدّل رايه حتى أتممتنا السنة التاسعة معاً والتي فجعنا فيها بوفاة إبننا في حادث سيارة. وهنا دبّ اليأس في حياة زوجي وتبدلت أحواله فأصبح يميل إلى الصمت لساعات طويلة جداً وهو مغموم مهموم. ولم أحتمل حالته فاقترحت عليه أن يتزوج بأخرى إن كان في زواجه راحة له. ويعلم الله أنه حاول ما يستطيع احتراماً لمشاعري وراحتي بل وترك لي اختيار زوجته الثانية. وبالفعل اخترت له إبنة إحدى أسر جيراننا تصغرني بثمانية أعوام وهي أسرة مستورة الحال. طلبت من والدي أن تذهب لخطبتها بعد توضيح أسباب الزواج. وبالفعل اقتنعوا بالأمر، خصوصاً بعدما سمعوا موافقتي الشخصية على الزواج».

● هل تغيرت العلاقة بينك وبين زوجك بعد زواجه بالثانية؟

«في أول الأمر وعلى الرغم من موافقتي على زواجه بالثانية إلا أنني لم أتقبل الوضع ولم أتحمله؛ إذ أصبحت عصبية المزاج مما أدى إلى تركي بيت الزوجية والذهاب إلى بيت أهلي لمدة تقرب من الشهر والنصف، سعى زوجي خلالها جاهداً لإرضائي بمختلف الوسائل حتى إنه اشترى لي بيتاً بإسمي كما أنه جعل لي الكلمة الأولى في البيت والمسؤولة عن تصريف شؤونه، وبعد محاولات متعددة استسلمت للأمر الواقع وعدت إلى بيتي. وفي الحقيقة أن زوجته الثانية كانت طيبة ولا تكن لي إلا الاحترام وكانت تسمع كلامي ونصائحي كما لو كنت أختاً كبرى لها».

● ما هو موقفك من الزوجة الثانية؟

«كان زوجي رجل حكيم في تصرفاته فهو لم يحاول إشعال نار الغيرة بيننا الأمر الذي ساعد في تهدئة الموقف بيننا، فهي لم تحاول إيذاء مشاعري ولا بكلمة واحدة، وظل أمر المنزل بيدي. إلا أن الوضع بدأ يتوتر بيننا بعد ثبوت حملها؛ إذ بدأت أعصابي تتوتر وبدأت أشعر بكره لها وأخذت أفكر أنها سوف تأخذ مكاني بحملها هذا وخصوصاً إذا ما أنجبت، مع أن زوجي لم يتغير في حسن معاملته لي طوال فترة حملها، فكننت أختلق المشاكل من أتفه الأمور وأثور إن سألت زوجي عنها؛ لكن الأمور بدأت تتحسن وتهدأ بعد ثبوت حملي أنا الأخرى. وأصبح حملي بمثابة ارتياح نفسي لي، بالرغم من خوفي من وفاة الجنين. وهي قد أنجبت قبلي بنتاً، إلا أنني في فترة ألم الولادة نسيت تماماً أنها ضرة لي وقدمت لها كل ما أستطيع لمساعدتها، وكانت العلاقة بيننا علاقة أخت بأختها، وأصبحت أهتم بطفلتها تلك الفترة لأنها كانت تعبى. ووضعت بعدها طفلاً ذكراً. عندها آمنت بصحة كلام الشيخ الأمر الذي ساعد على تقبل الوضع مما أدى إلى تبادل الاحترام بيننا وبالأخص من جهتها باعتباري الأكبر سناً. وظل الأمر كذلك حتى أنجبنا 16 طفلاً ذكراً ثمانيه أطفال منها وثمانية أطفال مني!».

● كيف تعاملين أبناء زوجك من الزوجة الثانية؟

«لقد عملت زوجة زوجي على فرض احترامها على أبنائها وبالأخص أنني أم بالرضاعة لثلاثة منهم، على أنه نتيجة لكبر حجم العائلة فقد انفصلت كل أسرة بمنزل مستقل وكان على الأب أن يكون يوم هنا ويوم هناك ونجتمع جميعاً أسبوعياً في بيتي وكذلك في الأعياد والمناسبات باعتبار بيتي هو البيت الكبير.

إلا أن هذا الانفصال المكاني كان في الواقع أيضاً بداية انفصال في المشاعر عندي؛ إذ أصبحت لا أميل كثيراً إلى أن يذهب أبنائي إلى البيت الثاني لأبيهم وفي حالة ذهابهم أصبح في حالة قلق حتى يعودوا وذلك بسبب بعض الخلاف بين بناتنا وأصبح الأبناء مضايقونني بأسئلتهم عن سبب زواج والدهم بأخرى».

● ما موقف المجتمع النسوي من زواج زوجك بامرأة ثانية؟

«صديقاتي يعرفن تفاصيل الوضع لذلك فإنهن دائماً يكن المديح لي وأنا في الغالب لا أسمح لهن بالإساءة لضررتي لكنني أحياناً أفرح عند سماع مثل هذه الأقاويل. أما نساء عائلتنا الكبيرة فيعضهن يحاولن الصيد في الماء العكر ويكررن أنها «تتمسكن حتى تتمكن» في محاولة لإثارتي ضدها. وبعضهن يرفضن رفضاً قوياً فكرة التعدد مؤكدات على ضرورة عدم مشاركة أحد لهن في زوجهن. طبعاً هذا الكلام كان في السنوات الأولى أما الآن فالأمر عادي جداً ولم يعد يهمني ما قد يقوله أحد».

الزوجة الثانية / الحالة الرابعة

«أبلغ من العمر 44 عاماً ولي ثمانية أطفال خمس بنات وثلاثة أبناء ذكور. ولقد تم زواجي برغبة والدي وموافقتي. ولقد وافقت لأن التي تقدمت لخطبتي جارة عزيزة والرجل الراغب في الزواج رجل محترم ومقبول من كل النواحي. ولقد سهّل الأمر عليّ موافقة زوجته الأولى ولوجاهة السبب ورغبته في الإنجاب والذرية. ولا أعتقد بأنني أخطأت في الموافقة على الزواج من رجل متزوج قبلاً، والزواج سنّة وللرجل الحق في التعدد وأنا لم أخطفه من زوجته وإنما هو الذي تقدم لطلب يدي وبموافقة زوجته الأولى. فلقد كنت أعرف أن دوري في حياة زوجي هو الإنجاب وتكوين الذرية. لذلك، فإنني لا أجد نفسي سارقة له فهو يريدني لهدف وأنا أريده لهدف!».

● ما هي نظرتك إلى زوجك؟

«إنه رجل عاقل وحكيم استطاع أن يمسك العصا من النصف، وهو عادل معنا ولم أشعر للحظة واحدة بظلم مارسه نحوي بالرغم من أنه جعل أمر تدبير أمور المنزل في يد الزوجة الأولى إلا أنه عمل على إقناعي على تقبّل الوضع بروح رياضية؛ فقد أفهمني أنها أقدر على تصريف أمور المنزل بحكم خبرتها إضافة إلى أنها مدبرة وحكيمة. كذلك كان عليّ مراعاة حالتها النفسية؛ فالبيت بيتها وأنا القادمة عليها. وبالفعل اقتنعت بكلامه ووجدته صحيحاً مما مكّنتني من أن أضع نفسي في محلها، ولقد وجدت أنها فعلاً سيدة تمتاز بالطيبة وحسن الخلق ولقد ساعدتني كثيراً.».

● ما موقفها منك وما موقفك منها؟

«في البداية غضبت لوجودي ولم تتحملني في البيت معها. إلا أنها وبمرور الوقت تقبّلت الوضع وأصبحت تعاملني كأخت تصغرها. فلها مواقف نبيلة معي منها موقفها معي يوم ولادة إبنتي البكر؛ إذ لم يقف أحد بجانبني مثلما وقفت معي فكانت تطبخ لي الطعام وتأتي به إليّ في الفراش وتهتم بابنتي وكأنها إبنتها بالرغم من أنها حامل وتعبي، الأمر الذي جعلني أكرّ لها كل الحب والتقدير، وبالرغم من أنها تواجهني أحياناً بصوت مرتفع إلا أنني أعتبر خصامها إنما هو نابع من أنها أختي الكبرى التي تغضب من بعض تصرفاتي. وعلى أي حال مواقفها الطيبة معي أكثر من مواقفها السيئة التي تكاد لا تُذكر.».

على أنني لاحظت فيما بعد، بعد أن كبر الأبناء وبعد انفصالنا في المسكن، بعض التغيير تجاه أبنائي ربما كان ذلك بسبب الخلاف بين بعض بناتي وبناتها بسبب زميلاتهن في المدرسة اللاتي يحاولن خلق فروق بينهن مرة بالمقارنة ومرة بإظهار عيوب زوجة الأب وهكذا. لكن ضررتي - وهي أم بالرضاعة لثلاثة من أطفالي - بالرغم من وجود بعض الخلاف بين الأبناء فهي لا تزال أختي الكبرى ونحن نجلس معاً

لساعات وتحدث بالهاتف نحكي عن أوضاع البيت بكل أخوة».

● ماذا عن المجتمع النسوي وكيف يرى إلى زواجك من رجل متزوج؟

«بالنسبة لصديقاتي فإنهن يحاولن دائماً توضيح أنني لم أخطيء؛ إذ إن لم أكن أنا الزوجة كانت أخرى ستتزوج من زوجي، وأنا أتفق معهن في الرأي. أما بالنسبة للأهل والأقارب فالبعض يقف على الحياد والبعض يحاول الإيقاع بيني وبين ضرتي بنقل الكلام والنميمة ووصفي بأنني سارقة رجال، خصوصاً إحدى قريباته فإنها تعمد إلى الإساءة لي وتكرهني سامحها الله!».

الحالة الخامسة

الزوجة الأولى / الحالة الخامسة

«تزوجت به منذ ثلاثين عاماً، وأنا لست من قريباته بل أنا من بلد عربي آخر. أبلغ من العمر اليوم خمسين عاماً. وافق أهلي على زواجي منه بسبب فقرنا وهو ميسور الحال. ولقد أعجب بجوالي الذي كان مضرب الأمثال ومحط الأنظار. وبعد مضي عشرة أعوام على زواج ناجح أصر على الزواج من أخرى بتحريض من أمه وأخواته اللاتي لم يتقبلنني لأنني «أجنبية» بالرغم من محاولتي التحدث باللهجة السعودية والتعود على العادات والتقاليد المرعية والقيام بشؤون المنزل على أكمل وأتم وجه. حاولت منعه من الزواج، لكنه، وبالرغم من تعلقه بي إلا أنه أوضح أن والدته وأخواته يصرون على زواجه من إحدى قريباته، وما كان لي إلا القبول بالأمر الواقع. منه علمت خبر زواجه منها في الليلة نفسها فهو لا يخفي عليّ أمراً».

● كيف هي علاقتك بزواجك بعد زواجه الثانية؟

«لم يكن هناك أي تغيير في نمط حياتنا، بل إنني لم أشعر على الإطلاق أنه تزوج بثانية؛ إذ كان يقضي معظم الأوقات معي ومع أولاده مني ولم تتغير علاقته بي بل ربما ازداد ارتباطه بي حتى إنه لم يكن ينام خارج بيتي، وكان يذهب إلى الزوجة الثانية في النهار فقط. حتى إنه بعد عام من زواجه بها أصبح يهتم بي أكثر وحينما أسأله عنها يقول إنه فعل الواجب وكفى!».

● كيف هي علاقتك بالزوجة الثانية؟

«تعرفت عليها مع أهل زوجي ضمن الأقارب في المناسبات حتى قبل الزواج، وكنت كثيرة الحديث معها قبل الارتباط. ويظهر أنها إنسانة غامضة خططت لتسرق زوجي مني، فهو رجل متميز على المستوى الأخلاقي والمادي».

وأنا لا أزال أتحدث معها؛ إذ غالباً ما نلتقي في المناسبات ونتجاذب أطراف الحديث، وهي تسكن الآن في المبنى نفسه الذي أسكنه، على أنني لا أتعامل معها إلا بحرص؛ فهي غالباً ما تذكرني بسوء عند الجيران، وهم يبلغونني ما تقوله. وبصورة إجمالية علاقتنا طبيعية وإن كان التعامل معها لا يخلو من وجود بعض المشاكل بسبب الأبناء. نحن نتعاون في حدود الجيرة بالرغم من وجود مناقشات وحزازات بيننا، فما يسيئني منها كلامها عني عند الجيران ومحاولاتها تشويه صورتي بين الأقارب.

● كيف هي علاقتك بأبنائك بعد زواج والدهم؟

«عندما تزوج والدهم كانوا صغاراً ولقد تعودوا الآن على الأمر وهم يلعبون مع اخوتهم من أبيهم وأنا أشجع هذا ولا أفرق بين الأخوة سواء أكانوا أبنائي أو أبناء ضرتي. أما بالنسبة لتربيتهم وتعليمهم فإنني لم أقصر وأنا حريصة جداً على مستواهم التعليمي ولله الحمد أبنائي هم الأكثر حضوراً في المستوى الدراسي والاجتماعي!».

● كيف يعاملك المجتمع النسوي؟

«الحمد لله في شعبية كبيرة عند الناس وهم يحترمونني ويقدرونني ولقد استنكروا زواجه بزوجة ثانية لكن الموضوع أصبح الآن عادياً جداً. والحمد لله لم أجد من يسخر أو يستهزئ بي. للأسف ضرتي تحاول أن تجعلني موضوعاً لحديث الجيران حتى إنها اتهمتني بأنني سحرت لزوجي وتنشر إشاعات مغرصة عني لكن أحداً لم يقتنع بكلامها. لقد أزعجني كلامها في مرحلة ما بحيث أصبحت لا أود مقابلة أحد من الجيران وظللت أفضل البقاء في البيت لكن الآن ونحن نسكن منزلاً واسعاً لكل واحدة منا طابق خاص بها فإن المشاكل قد خفت نسبتها وربما نحن أيضاً كبرنا على تلك الترهات وهي الآن مجرد جارة أسعى إلى اكتفاء شرها وأن نكون في الأزمات بجانب بعضنا!».

الزوجة الثانية / الحالة الخامسة

«اليوم يكاد سنّي يقارب الخمسة وأربعين عاماً، وتزوجت وأنا في سن تسعة عشر عاماً، وأنا أم لأبناء أكبرهم يبلغ الثالثة والعشرين من العمر. لم يكن لي رأي في زواجي به. فلقد تقدم لخطبتي قبل زواجه بها ولي من العمر ثلاثة عشر عاماً وهو يكبرني في السن فرفض والدي زواجي به فتزوج بها ثم عاد فخطبني بعد حوالي عشر سنوات من زواجه بها، لقد عاد إلى الزواج بي فانا أمثل حبه الأول».

● ماذا عن علاقتك بزوجك؟

«في البداية كانت الأمور صعبة للغاية، ولقد واجهت منغصات كثيرة من الزوجة

الأولى؛ فلقد كانت تعاملني بنوع من الحذر والخوف بحيث إن زوجي في السنتين الأوليين كان لا يأتي عندي إلا بالسرقة من أنظار زوجته الأولى وكنت أشعر أن تصرفاته هذه ليست بمحض إرادته وإنما هي خارجة عن إرادته، فهي تتعاطى السحر ولقد تغلبت عليه. إنني أشعر بأنه طيب القلب وهو لا يتعمد إهمالي بل بالعكس يسعى إلى تطيب خاطرني ومراعاة شعوري. وبعد أن أصبح لكل منا سكنها المستقل في عمارة واحدة أصبحت معاملته لنا واحدة. إلا أنه لم يعد يذهب كثيراً إليها وأصبح يكرهها ويفضّل البقاء عندي».

● ماذا عن علاقتك بضررتك؟

«أنا أعرفها قبل أن أتزوج به. وهي تعتقد بأنها جميلة لكنني أجمل منها وأنا أشعر بنوع من الغصة من معاملتها لي في بداية زواجي به، وهي، على أي حال، سبب كل المشاكل على أنني أستطيع التعامل والعيش معها لكن بحذر وبدون حب. وهي تدعي الطبية، لكن الجيران أخبروني أنها كثيرة الحديث بالسوء عني وهي تخرجني بسلوكها المشين وتعاطيها السحر أمام الجيران. وبالرغم من أن علاقتنا في الظاهر طبيعية غير متوترة إلا أن ما في النفوس في النفوس. وإن كان الوضع الآن أفضل بكثير عما كان عليه في الماضي، فأنا أجلس معها وبيننا تعاون محدود».

● ما علاقتك بأطفالك؟

«لست بحاجة إلى توضيح شيء لأبنائي فهم يعلمون كل ملابسات الوضع في البيتين وهم على دراية بما تفعله زوجة أبيهم وهم من يحكم على المواقف والأوضاع. أنا مهتمة بتربية أبنائي وتعليمهم ولا أفرق بين أبنائي وأبناء زوجي وكلهم ولله الحمد متفوقون وسلوكهم الاجتماعي متزن».

● ما هو موقف المجتمع النسوي من ضررتك بعد زواجها من رجل متزوج؟

«المجتمع في ذلك الوقت لم يكن يعارض الزواج التعددي والرجل حينما يكون مقتدرًا من الناحية المادية له أن يتزوج وليست هناك مشكلة. وأنا ولله الحمد لم توجه إليّ تعليقات أو عبارات استهزاء ممن أعرفهن بل بالعكس إنهن يعتبرن الأمر عادياً. فالمهم هو أن تتزوج الأنثى من رجل ذي شخصية قوية وقادر على تحمل المسؤولية والإنفاق المالي على الجميع».

يهمني رأي الناس بي وأنا أتجنب المشاكل مع الجيران ولا أرغب في سماع أخبارها، خصوصاً أن الجميع يتجنبونها ويتهمونها بالتعامل بالسحر مما أبعد الناس عنها!..».

تأملات ونتائج

نرجو أن تكون «الشهادات» التي عبّرت فيها الضرائر عن موقفهن حيال بعضهن البعض وعن أنفسهن، كافية لتوضح حقيقة أن أمر العلاقة بينهن وتقدير المرأة لأمر التعدد ليس أمراً أحادي الجانب وإنما على العكس من ذلك تماماً، فهو يتشكّل من مركّب من الآراء والمواقف والانطباعات، وهذا المركّب ليس بالضرورة سلبياً. بمعنى أن التعدد في ثقافةٍ تقبل شرعيته ولديها الخبرة في قبوله كواقع، يُتيح لأن تتكوّن في هذه المجتمعات توقعات ومواقف تجعل الفاعلين الاجتماعيين ينظرون إلى القضية بأكثر من منظور: أخلاقياً، براغماتياً، رومانسياً، وغير ذلك. ولعل من نافلة القول أن نوّكد أن السيدات اللاتي أبدین في هذه الشهادات مواقفهن عن التعدد لا يمكن وصفهن بالدونية أو بالتخلف، فهن في الغالب الأعم يتمتعن بثقة في أنفسهن كما انهن فاعلات في المجتمع المحدد، وذوات شخصية هي محل احترام وإعجاب المحيط؛ ويظهر أن الوسط النسائي له مواقف مختلفة ربما تحددها الحالة والمنظور الذي يُنظر منه، بحسب ما لاحظته السيدات في زيجات تعددية.

ويمكننا، بصورة إجمالية، القول بأن المجتمع لا ينظر بشكل مطرد إلى الزوجة الأولى باعتبارها ضحية والثانية (الجديدة) باعتبارها ساقطة أو مجرمة، وأن الذي يظهر إنما هو على العكس من ذلك تماماً؛ فالصورة إلى حد ما معقدة ولا يمكننا تصنيف الحالات على أساس ضحية / ظالمة. ويتضح من الشهادات أن شرعية التعدد بل وقبوله أمر مُجمع عليه من المجتمع، إنما الاختلاف هو على مبرراته وشروطه وعلى أساسها يكون موقف النساء من الضرائر.

في ختام الدراسة نقول بأن الزوجة الأولى في الغالب تعبّر عن الخيبة والمرارة وتحمل الزوج، الذي كثيراً ما تذكر أنها هي التي أوصلته إلى ما وصل إليه، وتؤكد على قيامها بواجباتها ومسؤولياتها الأمر الذي يتضح أكثر في طريقتها في تربية الأطفال. أما الزوجة الثانية فإن تأكيدها غالباً ما يكون على أنوثتها وجاذبيتها ومدى تفهمها لشخصية الزوج، وهي تدافع عن نفسها بذكر سمات سلبية في الزوجة الأولى والتأكيد بأنها قادرة على إسعاد الزوج. ويلاحظ في هذا المجال أن الزوجة الأولى تؤكد على نقطة: مؤسسة الزواج والأبناء والاهتمام بهم؛ بينما الزوجة الثانية تؤكد بالمقابل على نقطة: الزوج والأنوثة...